

يستغلها لملء بطنه بكل أنواع الأطعمة المحظورة. ولا ريب في أنه لم يكن مخطئاً. فرؤية «مالكوس» متكرساً ممتلىء الوجه بين جميع تلك الوجوه الغائرة باستمرار كانت تكشف بوضوح أنه لم يكن يخضع تمام الخضوع لنظام الطعام السائد.

كما في ذلك اليوم، في وقت الوجبة الثانية، وجبة الغسق التي يجتمع فيها كالعادة جميع «الإخوة» في قاعة الطعام وقد انقسموا حول ثلاث موائد طويلة متوازية يترأس أوسطها «سيتاي» يحيط به أقدم الأعضاء، و«مالكوس» في طرفها الأوسط قريباً جداً من الباب. ولقد شرع القوم في الدعاء من أجل الاستهلال. وإن التفكير في أن الأمر مجرد دندنة متسرعة معناه الجهل بتقاليد بستان النخيل. فبعد أن ذكر «سيتاي» بواقعة النعم المألوفة اندفع في عظة طويلة. وكان جميع «الإخوة» واقفين حاني الرؤوس وهم ينتظرون أن ينتهي لكي يهجموا على الطعام. بيد أن سيدهم لم يكن قطعاً على عجلة من أمره. وقد شرح قائلاً إن الجوع عدو مبین، وأن على الإنسان الفاضل أن يكبح جماحه بدلاً من إشباعه، كما أن عليه كبح جماح جميع رغبات الجسد. وكان ذلك موضوعه الأثير في ساعة الشهوة إلى الطعام؛ وكان يقول: إن الجسد بئغل وراكبه هو العقل، وعلى المرء أن يقف أحياناً لإطعام البهيمة، بيد أنه ليس لها هي أن تختار الطريق ولا المراحل، وأن العار والويل للراكب الذي ينصاع لنزوات مطيته.

كانت موائد «أصحاب الملابس البيضاء» شديدة التقشف: زيتون وقتاء، ولوز ولُفت وبعض الفاكهة وخبز وماء. ومع ذلك فقد كان ستون زوجاً من العيون ترنو إلى ذلك الغذاء المتواضع. وكان قد أعقب آخر وجبة تُنوّلت بعد صلاة الفجر مباشرة يوم شاق في الحقول. ومع ذلك فقد كان يجب التحلي بالصبر والتأمل وإماتة النفس لأنه كان ينضاف إلى الجوع العار من الجوع والندم سلفاً على كل لقمة تُورث اللذة.

وإذ لم يتمالك «مالكوس» نفسه فقد مَدَّ يداً مرتعشة إلى أقرب سلّة، ولكن